

تجليات القلق في شعر عروة بن الورد قراءة نفسية

أ. عوراي نصيرة - جامعة سيدي بلعباس-

الملخص :

ولعل أهم ما ميز العصر الجاهلي هو ظاهرة القلق والاضطراب نظرا لما كان سائدا آنذاك من صراعات ونزاعات وحروب بين القبائل لأتفه الأسباب كل هذا كان دافعا لتزايد وتيرة القلق في نفسية من عاش مقهورا ومظلوما، كما أدت تلك الأوضاع المزرية إلى بروز فئة الصعاليك. تلك العصبية تحملت قسوة العيش أكثر من غيرها أبت الرضوخ والاستسلام فتمردت على النظام القبلي، وأثارت في المجتمع الجاهلي موجة من الرعب والفرع، وقد نبغ فيها شعراء مجيدين ومنهم الشاعر "عروة بن الورد العبسي" الرافض لحياة الذل والهوان، الباحث عن الاستقرار والأمان، إذ جاءت أشعاره عاكسة لرؤيته للحياة، وبما أنه تجرع كأس المعاناة، وتذوق مرارة الحياة، أردت أن أقف عند هذه الشخصية وأنعمق في دراستها للبحث عن ظاهرة أرقت وعيه وأرهقت تفكيره وتمثلت في ظاهرة القلق.

ويعود سبب اختياري لأشعار "عروة" بالأخص من أجل استقراء هذه الظاهرة النفسية لأنها استفحلت في شعره وسيطرت عليه وأكسبته طابعا انفعاليا يوحى بالاضطراب وانتفاء السكينة من الوضع المزري الذي آل إليه مع جماعته. ولكون الشعر كما هو متداول موضع التعبير عن خلجات النفس الإنسانية، فشعر عروة تميز بذلك، فهو شعر وجداني، انفعالي ينقل معاناته الداخلية بكل صدق في الأحاسيس، وها هنا يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات التي تفتح لنا الباب لبداية البحث. وقد جاءت على النحو الآتي:

1- ما الدوافع التي أدت إلى ظهور القلق في شعر عروة ؟ وفيما يتجلى قلقه ؟ 2- هل حياته أثر كبير على شعره ؟

ظاهرة القلق في شعر عروة بن الورد:

عاش الإنسان الجاهلي في بيئة صحراوية قاسية بسيطة، تكيف مع متطلباتها وتفاعل مع معطياتها، فارتبط بها أشد ارتباط، لكن تحمله قساوة البيئة، ومرارة العيش، خلق في نفسيته إحساسا بالقلق والاضطراب والنزوع إلى التمرد، فوجد في "الشعر الميدان الزحبت لتجسيد هواجسه، والتعبير الأصيل عن خلجات النفوس، وخفقات القلوب"¹ فكان انعكاسا لنفسيته وبيئته البدوية المتصارعة في كل

¹ أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص 43.

جوانبها ومثلها أتم التمثيل. وفي "دروب الصحراء وشعابها ظهرت" الصعلكة" واشتهر بها رجال أشداء"⁽¹⁾ وجدوا في الشعر أرضاً رحبة للتعبير عن واقع حياتهم المتشعبة بالمخاطر والصعوبات. ففاضت قريحتهم، وعبروا عن أحاسيسهم الحزينة والمضطربة من خلال جملة أشعارهم ومقطوعاتهم ولا ينقطع حديثهم عن المحن التي تعرضوا إليها في مجتمعهم، فنجدهم في شغل شاغل وقلق دائم إزاء الوضع المزري، ويقود هذا التيار مجمل الشعراء الصعاليك. ومن بينهم "عروة بن الورد العبسي-" حيث كان شعره بمثابة رسالة أو سلاح موجه ضد العنف الاجتماعي، ناطقا بقضية مهمة لازمت حياة الأفراد في ذلك العصر. المعروف بالعصية. وتمثلت تلك القضية في القلق الاجتماعي بعامة والقلق الوجودي بخاصة، ولعل تأزم وتدهور حياة عروة، واضطراب كيانه من وراءه دافع جعله يعيش في ظلام دامس، وحيرة لا تنقطع، وتمثل ذلك في المؤثر الاقتصادي الذي كان سببا في تدهور الأوضاع الاجتماعية وغيرها.

1-أسباب القلق في شعر عروة بن الورد:

أ-المؤثر الاقتصادي: كان العربي في القديم يحيا حياة بسيطة مليئة بالمشقات والعقبات حيث نجد أن "أغلب سكان شبه الجزيرة العربية يكتفون في البداية، فكانت الحيمة مأواهم والغيث منتهى أملهم، فيه حياتهم، وعليه معاشهم، فلم ينشغلوا بالزراعة والتجارة. بل كان همهم الوحيد تتبع الكلاً في المراعي"⁽²⁾ ونظرا لندرة الأمطار في تلك البيئة، لم تنشأ حياة زراعية تدمهم بالأمن والاستقرار، فقد جفت الأرض، وقل إنتاجها وتوارى عطاءها، فعاش الجاهلي في تلك البيئة القلقة المضطربة، يعاني من ضغوط نفسية متعددة كالنظام القبلي الذي كان يسيطر عليه حيث "خلق تدهور الظروف الاقتصادية وسوء موارد البيئة الجغرافية، فوضى في المجتمع الجاهلي أدت إلى بروز مجتمع السادة والأغنياء، ومجتمع للفقراء والمعدمين"⁽³⁾ وهذا ما يسمى بالترقية الطبقة، فأدى هذا التمييز العنصري بالطبقة الفقيرة إلى الإحساس بضيق العيش، وعدم الاتزان في الحياة- فلم تجد سبيلا للتعبير عن ذلك إلا بالتصعلك والخروج عما فرضه النظام الاقتصادي السائد في قبائلهم .

وهاهنا نجد أن "المجتمع الجاهلي مجتمع ظالم وتوزيع الثروة فيه جائر مضطرب، والصعلكة عند هؤلاء الفقراء وبخاصة عروة بن الورد فكرة اشتراكية، تشرك الفقراء في مال الأغنياء، وتجعل لهم فيه نصيبا، بل حقاً يغتصبونه إن لم يؤد لهم، فكان هدفها الأساسي تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية

¹ - عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث "القاهرة، الكويت، الجزائر"، 2008م، ص23.

² - سعد إسماعيل شلي، الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، دار غريب، القاهرة، ط2، ص16.

³ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمدد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م،

والتوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين-الأغنياء والفقراء-⁽¹⁾ وبذلك نلمس الروح الإنسانية العالية التي توفرت عند عروة في المساواة بين فئات المجتمع، وخلق التوازن والعدل فلا فضل لأحد على الآخر وإن كان ذا نسب ومال.

كان عروة يقوم بجمع المحرومين من الصعاليك يأمرهم بالغزو والنهب من أجل كسب العيش، فهو بهذا بمثابة المحرض الثوري الذي يدافع عن وطنه من أجل التحرر والاستقلالية، وكسب القضية، ولم يكن يفعل ذلك من أجل إرضاء ذاته فقط بل كان ذلك إرضاء للمحرومين البائسين الغارقين في الدل والمهانة وهذا ما يؤكد ترفع عروة من الأنانية الضيقة، فقد عابه قيس بن زهير على نحول جسمه. فردّ عليه في التزام شديد لقوله:

إِنِّي أَمْرٌ عَافٍ إِنَّا فِي شِرْكَةٍ^(*) وَأَنْتَ إِمْرٌ عَافٍ إِنَّا نَكُ وَاحِدٌ
أَتَمَرًا مِثِّي أَنْ سَمِنْتُ، وَأَنْ تَرَى بَوْنَجِي شَحُوبَ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ جَاهِدُ
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُشُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَخْشَوْا قِرَاحَ الْمَاءِ، وَالْمَاءُ بَارِدٌ⁽²⁾

يبدو أن عروة ذو جود وكرم على غيره، لا وجود للأنانية في حياته ولا يعرفها قط، حيث لا يطيب له عيش ولا يهدأ له بال حتى يطعمهم بما كسب، وكان هدفه الوحيد القضاء على التفرقة الطبقة التي طغت على الواقع الجاهلي وتحقيق المساواة بين أفراد القبيلة. كما نجد هـ في موضع آخر يفتخر بكرمه وعطائه وسخاءه. وفي هذا يقول:

صَبُورًا عَلَى رُزْءِ الْمَوَالِي وَحَافِظًا لِعَرْضِي حَتَّى يُؤْكَلَ النَّبْتُ أَخْضَرًا
أَقْبُ^(*) وَمَخْمَاضُ^(**) الشِّتَاءِ مُرٌّ^(***) إِذَا اغْبَرَّ أَوْلَادُ الْأَذْلَةِ أَسْفَرًا⁽³⁾

رغم البؤس والحرمان الذي عانى منه عروة الصعاليك في تلك الصحراء الخيفة، إلا أنه "ظل يعطي ويؤثر الآخرين على نفسه بما عنده إلى أن يذهب الشتاء والبرد وتدب الحياة من جديد في

¹ - عبد العزيز نوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص 162.

^{*} - عافي إنائي شركة: أي أنه يجعل إنائه شركة مع باقي الفقراء، بمعنى يشاركهم ويقاسمهم إناءه.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 29.

^{*} - أقب: ضامر البطن، دقيق الخضر.

^{**} - مخماض: الخنثى، الجائع.

^{***} - مرزأ: يجعل للتأس نصيب في ماله.

³ - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1996، ص 141.

الطبيعة"⁽¹⁾ وهذا ما يظهر لنا إنسانية عروة تلك النزعة إذا حلت في قلب الإنسان رفعتة إلى المحبة والعدل والمساواة، وإن فقدتها انحطت إلى المستوى الحيواني حيث البغض والظلم والوحشية والأنانية.

اتجه "عروة" إلى الشعر وأطلق العنان لإحساسه، فكانت تجاربه الشعرية أعمق التجارب تجسيدا للهموم والأوجاع. إذ "عدّ شعره ابن المناسبة المادية، وابن الخاطرة الذهنية والمعاناة النفسية، فمثل ملامح من الحياة العامة"⁽²⁾ التي يحياها كل فرد على وجه الأرض حيث كانت حياة لا يعرف لها بداية ولا نهاية مليئة بالظلام والاسوداد، وفي ذلك يقول:

وَقَدْ عَيَّرُونِي الْمَالَ حِينَ جَمَعْتُهُ وَقَدْ عَيَّرُونِي الْفَقْرَ إِذْ أَنَا مُقْتَرٌ^{(3)(*)}

يبدو أن مجتمع "عروة" كان مجردا من أسمى عاطفة تمثلت في الإنسانية، حيث غرس في نفوس الناس رعبا لا ينتهي، وظلاما لا نور فيه، فحرّمهم من أدنى الحاجات في تلك الحياة، وتجزّعوا كأس المعاناة حتى بدأوا بالمناداة وبهذا تجسدت تلك المناداة في شعر "عروة" تلك التجربة الصادقة التي صورت الواقع كما هو، فكانت سمة القلق ملازمة لنفسيته في كل مجالات حياته الاجتماعية.

ب- المؤثر الاجتماعي: لعل أهم ما أثر في نفسية الفرد وبخاصة الشاعر هو المجتمع الذي عاش فيه، إذ كان مجتمعا غير عادل في تقسيم الحقوق بين الأفراد، حيث ظهرت فيه التفرقة الطبقية، فأثرت هذه الأخيرة على حياة العربي، وجعلتها حياة شاقة ومضنية مليئة بالمخاطر من كل جانب وفي كل آن. وها هنا نجد أنّ "النظام الاجتماعي الفوضوي الذي ساد في العصر الجاهلي، وليد النظام الاقتصادي بكل ما فيه من خلل وتباين، ولقد سبق وأن تحدثنا عن الفوارق الطبقية بين أفراد القبيلة الواحدة، فأمام هذا الفارق الحاد بين الطبقتين في الثروة والمكانة الاجتماعية، كان من البديهي أن يحدث الشقاق بين أفراد القبيلة"⁽⁴⁾، الأمر الذي دفع بالطبقة المعدمة الفقيرة إلى التمرد والرفض للمهانة لأنهم تتفق مع تقاليد الحياة الجاهلية بما فيها من ظلم واضطهاد وعبودية، فقصده هؤلاء الطبيعة بمصاعبها للبحث عن التحرر.

عاش عروة محروما من العطف الأبوي ومقهورا من طرف القبيلة ولا شك أنّ أول ما أحسّه وكان له وقع قوي على حياته هو الفقر الشديد الذي لازمه منذ نشأته، فكان بذلك من أبرز الأسباب

¹ - المصدر نفسه، ص.ن

² - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، ص 46.

³ - مقتّر: الفقير الذي لا مال له.

⁴ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 40.

⁵ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 107.

التي دفعت به إلى عالم التصعك⁽¹⁾. حيث رفض التقاليد التي تمسك بها المجتمع الجاهلي كما تألم من ذلك الشبح المرعب الذي ترك بصمات وخيمة على نفسه وحياته، إذ جعله ذليلاً مهاناً، مهمشاً في مجتمعه فأدى به هذا الفقر المدقع للتزوع إلى الصحراء سعياً للتحرر من هذا القيد إذ وقف أمام مجتمعه بالإغارات والغزو لاسترجاع حقّه الذي سلب منه ومن الفقراء أمثاله وفي هذا الموضع. نجد قوله:

حَاطِرٌ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيَّةٌ إِنَّ الْفُؤَادَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ
الْمَالُ فِيهِ مَهَابَةٌ وَتَحَلُّةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفَضُوحٌ⁽²⁾

قلة المال جعلت منه سخرية للكبير والصغير، وخطت من شأنه، إلا أنّ رجلاً كعروة ذو النفس الفياضة لم يسمح باستمرار تلك الحياة المهينة فوقف ضدّ كل هذا وذاك وتصدّى له بالتمرد والغزو والسلب فكانت تلك الطريق الوحيدة التي وجد فيها سبيلاً للتحرر من ذلك القيد. كما نجده في أحيان أخرى يشكو فقره وظروفه القاسية التي جعلت منه شخصاً ناقماً على فئة الأثرياء البخلاء، حيث وجد أنّ المال يرفع من شأن مالكة حتى ولو كان ذو أخلاق فاسدة. ورغم الفقر الذي لحق بشاعرنا "عروة" إلا أنّه لم يبقه مكتوف الأيدي فكان له بالمرصاد صامداً في مواجهته، شجاعاً في إقدامه إذ لم يطلب مساعدة من أحد. وفي هذا الصدد يقول:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَا الْفَقْرَ، أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَى كَلًّا، وَأَوْشَكْتُ صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا⁽³⁾.

وأمام هذا "التوزع النفسي والجسدي" يظهر لنا عذاب عروة واغترابه إلا أنّه في الوقت نفسه يعلن عن رغبته الملحة في الانتماء، فكان دائم البحث عن الطريق الذي يصله بالناس، فأيقن ووعى الأثر الذي يتركه الفقر في نفس الفرد، وبذلك نجده يمضي مفتخراً بسخاءه وجوده. فيقول:

فَرَا شِي فِرَاشُ الصَّيْفِ وَالْيَيْثُ يَيْثُهُ لَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقْتَعٌ

¹ - عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 185.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 24.

³ - المصدر نفسه، ص 44.

* - غزال مقنع: يقصد بها المرأة الحسناء التي تغطي رأسها.

أَحَدُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ⁽¹⁾

وبذلك فظاهرة الكرم تعتبر الدافع الأساسي في الرد على هؤلاء البخلاء الذين لا يعرفون للترجمة والتضامن الاجتماعي أساسا في حياتهم، ويبدو أن "عروة" لم ينهب لإشباع حاجاته، وإنما الأمر "ينطلق من الحسرة التي يورثه إيّاها توزيع الأموال غير المتكافئ في مجتمعه، فالسادة عندهم أكثر مما يلزمهم، والفقراء ليس عندهم ما يعيلهم على العيش المستقر، لذلك أخذ على عاتقه القيام بتحقيق العدالة الاجتماعية⁽²⁾. ووضع التكافؤ بين الفئتين حتى ولو أدى ذلك بالتضحية بنفسه.

ج- المؤثر العرقي: تمتسك العرب في الجاهلية بالنسب والتقاء العرقي الذي يعدّ رابطا أساسيا يوصل روابطهم في القبيلة الواحدة التي كان قوامها العصبية والأعراف والمبادئ والقوانين التي تحفظ شرفها وتصور عرضها. وبهذا نجد أنّ الرابط والواصل الأساسي بين أفراد القبيلة هو النسب الواحد الذي يجمع شمل الأفراد ويوحد مبادئهم ويربط أوصلهم. "فقد مثل علما واسعا عند العرب حيث رأوا فيه ما نراه الآن في الوطن. فكلّ قبيلة تؤمن بنسبها وتعترّ به. فهي من دم واحد، وأصل واحد ومن أجل ذلك عبّروا عن القرابة وعشائهم وفروعهم"⁽³⁾. ومن بين القبائل التي تعترّ بشرفها وأصلها "قبيلة عبس" التي كانت تتفاخر بأنسابها، وتجعل للعرق والنسب وزنا عظيما، وللخلق الشريف تقديرا جسيما. فبرز فيها رجال فرسان، ونبغ فيها شعراء رفضوا القهر والحرمان، وأنكروا الطغيان، ونادوا بحقوق الإنسان، فهبّوا يعبرون عن معاناتهم من واقع حياتهم ويطلبون العدل والمساواة والحرية، ويحثّون قومهم على الإخاء والمؤدّة. والاتجاه إلى رفع البؤس عن البائسين وإعانة المصابين والأخذ بيد الضعفاء والمساكين.

ومن المؤكّد أن الأسرة هي الخلية التي يعيش في كنفها الفرد، إذ تعدّ المحرك الأساسي للحياة في هذا المجتمع القبلي، وفيها يستطيع الفرد أن يكون شخصيته ومبادئه، ولكن شاعرنا عروة عانى في حياته جزاء المعاملات السيئة من طرف أهله إذ لم يجد الاستقرار داخل أسرته، ولم يتوافر له الاندماج والتوافق معها، ولم يشعر بالعطف بينه وبينها"⁽⁴⁾. مع العلم أنّ أباه كان من أسياد القبيلة وأشرافها، وعدّ من أثريائها إلا أن شاعرنا عروة حرم من ذلك الثراء. فأحس بالظلم والتمهيش من طرف والده الذي فضّل الابن الأكبر وأمدّه بالعطف والحنان وأعطاه الثروة والأمان لقوّة جسمه وصلابة رأيه. هذا بالإضافة إلى نسب أمه الوضع حيث كانت تنتمي إلى قبيلة "نهد" تلك العشيرة الأقل شرفا من قبيلة

^{**} - يهجع: يعني بها النوم.

¹ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح ح كرم البستاني، ص 49.

² - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، ص 56.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط 8، 1960، ص 57.

⁴ - سعد إسماعيل شلي، الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، ص 319.

عبس، فأثر هذا الفارق في العرق والنسب على نفسية عروة، وكان سببا في تألمه الشديد وإحساسه بالعار وهو ينهش ذاته ومجده.

فالشاعر عروة عاش حياة الظلم والقهر وسوء المعاملة من طرف الأهل مما سبّب له توترا نفسيا حادا مرّقا كيانه، وقد سجّل لنا محتته وألمه ومعاناته وانفعاله في لوحات شعرية حيّة نابضة بالصدق والحرارة، وقد جاء حديثه عن ذلك النسب فيه شيء من السخط والكراهية، ذلك لأنّه "أودى بما لدى الأب من مجد وشهامة، فأخطّ من مكانته وسط بنيته القبلية"⁽¹⁾. فكان شاعرنا ناقما على تلك الصلة التي تربطه بأخواله، فردّ على القبيلة بأبيات شعرية. فقال

لَا تَلُمَّ شَيْخِي فَمَا أَذْرَى بِهِ غَيْرَ أَنْ شَارَكَ نَهْدًا فِي النَّسَبِ
كَانَ فِي قَيْسٍ حَسِيًّا مَاجِدًا فَأَتَتْ نَهْدٌ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَبِ⁽²⁾

تحدّث عروة عن النسب المتدنّي، الذي جعل أفراد القبيلة تتجاهل أباه، وتنكر وجوده، وتنشأ عنه لأنّه لم يحسن اختيار النسب الأمثل، ويبدو أنّ انتماء الأم إلى ذلك النسب الوضع جعل شاعرنا عروة ساخطا عليه، متشائما من وجوده إذ مثّل له الجانب السلبي والمقلق "فأحسّ في أعماقه من قبلها بعار لا يحى ولا ينسى"⁽³⁾. فأصبح ذلك النسب هاجسا أحبط عزيمته، وسبّب له قلقا دائما، فجعله في حيرة من أمره، من جهة يعرف أنّه نسب وأصل أمّه فيستسلم للواقع، ومن جهة أخرى يرفع السلاح ويندد بوجوده ويتمنى الخلاص والفرار منه، فتبقى هذه الأحاسيس مجرّد تّراعات وأوهام سرعان ما تتبخّر وتزول، فيجد "عروة" نفسه مجبرا على مواجهة تلك الحقيقة الموجعة ولا سبيل للفرار منها.

وهكذا عبّر "عروة" عن أوجاعه ومكنوناته المضطربة. في حسّ أليم يمثّل الواقع المرير، ويعاني في غموضه دون أن يقوى على الانفصال عنه، أو يرغب في التغيير فيه، فالعار الذي ألحقه به ذلك النسب المتدنّي جعله منبوذا في قبيلته. فصوّر لنا ذلك من خلال قوله:

وَمَا يِي مِنْ عَارٍ إِخَالُ عِلْمُهُ سِوَى أَنْ أَخُوَالِي، إِذَا نُسِبُوا نَهْدُ
إِذَا مَا أَرَدْتُ الْمَجْدَ قَصَرَ مَجْدُهُمْ فَأَعْيَا عَلَيَّ أَنْ يَقَارِبَنِي الْمَجْدُ

¹ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 73.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 18.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 383.

فَيَا لَيْتَهُمْ لَمْ يَضْرِبُوا فِيَّ ضَرْبَةً وَأَنْتَى عَبْدٌ فِيهِمْ، وَأَبِي عَبْدٌ⁽¹⁾

عبر عن شعوره بسخطه على أخواله حيث اتجه نحوهم بهجاء ساخن وثار ضدهم فهاجمهم ربة هجمة وجردهم من كل مجد وفضل وواجههم بكل نفس ثائرة رافضة للانتماء إليهم. حتى تمتنى لو أن أباه كان عبدا لهؤلاء التهديدن لكي لا تحدث هذه التفرقة العنصرية التي أرقت كيانه. وزعزت عواطفه وأحاسيسه وحطت من قيمته في وسطه القبلي الذي لم يخلعه ولكنته همشه وبذنه فضاق بذلك الشاعر بحياة الدل والغربة.

ورغم العار الذي ألحقه به نسب أمه، وتأزم نفسيته وحياته، إلا أن نفسا كنفس "عروة" لم تسمح له بإهانة أمه ولا مس كرامتها، وقد سمى فوق هذا العار، وتقبل الأمر كيفما كان وواجه قبيلته. بعدما ضاق بحياة الدل والاحتقار جراء النسب الذي لا ذنب له فيه سوى أن أمه تنتمي إلى طبقة معدمة لا مال لها ولا جاه. وقد رد على قومه بكلمات تمثلت في قوله:

هُمْ عَيَّرُونِي أَنَّ أُمِّي عَرِيَّةٌ وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَا جِدَّ مَا يَغَيِّرُ
وَعَيَّرُونِي قَوْمِي شَتَائِي وَلَيْتِي مَتَى مَا يَشَأْ رَهْطُ أَمْرِي يَتَغَيَّرُ⁽²⁾

على الرغم من الهجاء الموجه الذي وجهه لأخواله ورغم الكلمات المؤلمة التي تلقاها من طرف قومه إلا أن شاعرنا- أمير الصعاليك- كان يحن لأمه ولم يتوجه لها بأي كلام يجرح كيانه، أو يهدد وجودها، بل دافع عنها وحمي عرضها وصان شرفها بطريقة ليس فيها شيء من الاندفاع والإقدام وربما يرجع ذلك إلى عدم استطاعته تغيير ذلك النسب الوضع لأنه جذرها ومنتبها، ومهما كانت الظروف واختلفت القيم فإنها أمه التي مدت ذراع الأمان نحوه لحمايته ورعايته وبذلك نجده لم ينكر جميلها، وأبعد عنها السوء والإهانة على قدر ما استطاع بيده فعل ولم يهدأ له بال حتى يصد عنها أعين القوم الظالمين في قوله:

أَعَيَّرْتُونِي أَنَّ أُمِّي تَرِيَّةٌ^(*) وَهَلْ يُنْجِبُنِي فِي الْقَوْمِ غَيْرُ التَّرَائِجِ
وَمَا طَالِبُ الْأَوْتَارِ إِلَّا ابْنُ حَرْقٍ طَوِيلُ نَجَادِ السَّيْفِ، عَارِي الْأَشَاجِعِ⁽³⁾

¹ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 26.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 40.

³ - تريئة: المرأة المسرعة إلى الشر. ويقصد بها الشرسة في معاملتها.

³ - المصدر نفسه، ص 50.

فعروة لم تهن عليه نفسه الأبيّة أن يرضي قومه ويترك أمّه المسكينة في عذاب ومعاناة طيلة الحياة، فأعلنها ثورة على من عيّرُوا أمّه، وتسبّبوا في ألمه، وردّ عليهم وواجههم بكلّ قوة وعزيمة فكان "موقف القبيلة منه صارماً حيث رفضته وعزفت عنه"⁽¹⁾ فأصبح منبوذاً من طرف قومه بسبب ذلك العرق. ويبدو أنّ عزوف قبيلته عنه لم يمنعه من التفاخر بأمّه ورفع قدرها، وتعظيم شأنها وهذا ما يؤكّد شهامة شاعرنا ورفعة أخلاقه.

2- مظاهر القلق عند عروة بن الورد:

نظراً لما عاشه عروة من اضطهاد في وسطه القبلي، وما رآه من اختلال في الأوضاع الاقتصادية، وتدهور في الأوضاع الاجتماعية، جعله يعلن ثورة ضدّ الطبقة الأرستقراطية الظالمة "فكانت ثورة مهدّبة، إذ لم يتحوّل إلى سافك دماء عدواني، فقبيلته لم تخلعه، بل ظلّ ينزل فيها مرموق الجانب"⁽²⁾، وقد احتل مكانة كبيرة فيها، ولكنّه إلى جانب ذلك اختار أن يحيا العالمين، عالم القبيلة التي ينتمي إليها، وعالم الصعلكة الذي جسّد فيه كلّ كوامنه وحاجاته النفسية التي افتقدتها في مجتمعه، وقد تظهر ذلك في عدة أوجه نذكر منها: "التمرد وحب العدوان" و "والخوف والإحساس بالمطاردة".

أ- التمرد وحب العدوان: أحس عروة بعدم الاستقرار والطمأنينة إزاء الحياة، فتأزّمت حالته "وظهر العالم أمامه أكبر ممّا هو عليه، وأنّه يمتد بعيداً وراء ذلك كلّّه فوجد أنّه لكي يعيش المرء أفراده وأقاربه على الصورة الحقيقية، يجب أن يمعن النظر ويقف وسط هذا الكون، حتّى يتوافر له أن يفهم الحياة الإنسانية في أعماقها"⁽³⁾، لأنّ الحياة التي عاشها فرضت عليه أن يكون ثائراً ضدّ الظلم والجور، فلم تسمح له نفسه الحساسة بأن يرضى حياة الدّل والمهانة أو يقف مكتوف الأيدي لا يصدر حركة ولا مواجهة ضدّ المعاناة التي جعلته يحس حالة الاغتراب مع ذاته وعالمه. فوقف بمضارب الخيام شاهراً سيفه في وجه الأغنياء، جزاء، مهموماً، مثقل القلب بالحزن والرغبة في تغيير الواقع المتدني المنحط بقوانينه ومبادئه، فنفض عن بدنه غبار الحياة، وجعل الخطر حرفته، ومضى غازياً متحدّياً رافضاً كلّ أساليب القهر واليأس.

ويظهر لنا ذلك جلياً من خلال أشعاره التي "تنبئ عن نفوره الشّديد من الهوان، وصراعه العنيف في سبيل إثبات كيانه. فهو يسخط سخطاً شديداً على الخاملين من الصّعاليك، ملحاً إيّاهم إلحاحاً

¹ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 74.

² - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 383.

³ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 78.

شديدا على أن يتحركوا ويخاطروا بأنفسهم في أي شيء، ومهما كانت نتيجة المخاطرة⁽¹⁾. ففي التمرد والصّعلة وجد أرضا رحبة وحيزا كبيرا لإثبات وجوده وشخصيته، حيث يقول:

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاتَّمَسْ الْغَنَى
تَعِشْ ذَا يَسَارٍ، أَوْ تَمُوتْ فَتَغْدِرَا⁽²⁾.

ويبدو أن الواقع الاجتماعي المر الذي عاشه الجاهليون هو السبب الرئيسي- في دفع قسم من الشعراء إلى الخروج عن التبعية للقبيلة، والتمرد على قيمها، ولو رجعنا إلى مصدر تمرد شاعرنا لوجدنا "أنه مشكلة شعورية أحسها هو كما أحسها ورآها غيره من الصعاليك الذين ذاقوا مرارة العيش في الواقع الجاهلي الذي كان أرضا خصبة لجميع نزعات التمرد"⁽³⁾.

وبذلك نجد "أن التمرد والثورة من قبل الصعاليك وغزوهم المستمر لم يكن من أجل الغنى في ذاته فحسب، وإنما رغبة في تحطيم هذا المجتمع الظالم الجائر في تقسيم الحقوق الإنسانية، غير أن التمرد عند "عروة" يوجه هذا الهجوم من أجل تحقيق نزعتة الإنسانية، بمعنى أنه ينتزع من وحدته وانفراده بأهدافه الخاصة، فيكتسب لتمرده قيمة لها طابع العمومية والشمول"⁽⁴⁾، فنجد بذلك مصدر قوله:

لَعَلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَبُغْيَتِي،
سَيَذْفَعُنِي، يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ**
وَشَدَّيْ حَيَازِمَ* الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ
يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ⁽⁵⁾

يعود سبب تمرده إلى تلك الأوضاع التي أرقت كيانه، وأزعجت نفسيته فكان دائم الخروج إلى الصحراء للغزو. وكان "يعرف ما في خروجه من مخاطر وصعوبات، لكن دافعه الوحيد للخروج إنما هو رغبة منه في أن يحمي نفسه وأولاده، وكل من حرم أدنى الحاجات، وأن يدفع عنهم شبح الفقر والجوع من أجل توفير المقام الملائم للعيش"⁽⁶⁾، وبهذا نجده يردد قائلا:

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ،
مِنْ النَّاسِ، إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا⁽⁷⁾

¹ - المرجع السابق، ص 200.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 44.

³ - ينظر: أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص 265.

⁴ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 116.

⁵ - حيازم: مفردا حيزوم بمعنى الصدر.

⁶ - هجمة: القطع من الإبل حيث تكون بنسبة أكثر وأكبر.

⁷ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 54.

⁸ - حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (فضايا، نصوص، فنون)، ص 178.

⁹ - المصدر السابق، ص 44.

ولم يكتف "عروة" بالتمرد على النظام المجحف وحسب، وإنما تجاوز ذلك باستخدامه أساليب عدوانية متعددة كالسلب والنهب وقطع الطريق والسطو على أموال الأغنياء وبخاصة البخلاء. ويبدو من هذا أن حياته كانت مليئة بالصراعات و"أوضاعه الاجتماعية تضاربت بين عقبتين من أشد العقبات صلابة، إحداها الفقر"⁽¹⁾ كما سبق الذكر، والذي يعدّ من الأسباب التي حملته على التمرد، إذ حاول الانتصار عليه بشتى الطرق، فكان نشاطه التمردى مقتصرًا على فئة الأغنياء البخلاء الذين مجدوا بهم لهم وخيراتهم على الفقراء المحرومين، في ذلك يقول:

فُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَيفِ تَرْوَحُوا، عَشِيَّةً بَنَّا عِنْدَ مَاوَانَ، زُرْجَ
تَنَالُوا الْغَنَى، أَوْ تَبَلَّغُوا بِنَفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِحٍ مِنْ حَمَامٍ مُبْرَحٍ *⁽²⁾

لقد سخر "عروة" نفسه لمحاربة الأغنياء والتمرد عليهم وسلمهم أموالهم باختيار سياسة العدوان كوسيلة لتحقيق وجوده وتوفير العدالة والاستقرار للمحرومين وبالإضافة إلى تمرده وانتقامه من هؤلاء، نجده يبدي شعورا مثل له هاجسا وإحساسا عكّر صفو حياته تمثل في الخوف والإحساس بالمطاردة.

ب. 1- الخوف والإحساس بالمطاردة: شعر "عروة" بالقوة في ذلك العالم الذي نسميه الآن "المجتمع الإرهابي" إذ يعدّ "الشعور بالقوة في صميمه شعورا بالذات سواء أكانت هذه الذات فردية أم جماعية، وبذلك فهذا الشعور بمثابة حلم شاق ينازع النفوس، ويستعصي- عليها في مجتمع قلق ومضطرب مأزوم، يحاول أن يستمد يقينه من ذاته، فيوغل بذلك في مطاردة حلمه الذي يؤزقه ويتعبه"⁽³⁾ ويفرس في الشاعر اندفاعا نحو السعي للتحرر والبحث عن محباً الأمان والاستقرار في دروب الصحراء ومجاهلها، فكان "الخوف هاجسا لا يفارق الصعاليك، وإحساسا عكّر صفو حياتهم إذ حملهم على الرحيل والابتعاد باختيار الصحاري الموحشة والمقفرة كبديل لهم عن مجتمع البشر، فأضحت العزلة النفسية أمرا لا بد منه، وهو ما أشعرهم بالوطأة والإحساس بالمطاردة"⁽⁴⁾ إذ كانوا يتوقعون الشر في أية لحظة، حيث كان عروة يغزو ويتصد الأعداء في كل مكان، وكانت زوجته تخوفه الأعداء وتمنعه من الخروج للغزو والسلب وتبعده عن الحروب فعبّر عن ذلك برغبته في حياة مستقرة. فيقول:

أَرَى أُمَّ حَسَّانِ الْعَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الْأَعْدَاءُ، وَالنَّفْسُ أَخَوْفُ

¹ - المرجع نفسه، ص 184.

² - مبرح: الموت الشديد.

³ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 23.

⁴ - وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص 225.

⁵ - عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 284.

تَقُولُ سَلَمَى لَوْ أَقَمْتُ لَسَرَّتْنَا وَلَمْ تَذِرِ أُنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ⁽¹⁾

في هذا الصدد نجد "عروة" يخاف على نفسه من المخاطر أكثر من غيره. حيث كان يخشى - ويخاف من مطاردة الفقر له، فغدا القلق عنده "اضطراب بالشعور والتفكير"⁽²⁾ وهو ما حمله على الإحساس بالخوف والرهبة من كلِّ هم حوله، "فحرم بذلك الهدوء، وفشل في أن يتكيف وواقعه الاجتماعي وتعدى خوفه هذا إلى إحساسه بالمطاردة"⁽³⁾ من قبل الوحش المفجع الذي كثر أنيابه نحوه، ولم يشفق على حاله، فنهش كيانه وفؤاده وحياته، وزاد حتى جسده فجعله هزيلا، خائفا أن تمتد به حياة الفقر إلى شيخوخته. وفي هذا الموضع نجده يقول:

أَلَيْسَ وَرَأَيْ أَنِّي أَدَبٌ عَلَى الْعَصَا فَيَسْمَتُ أَغْدَائِي وَيَسَامِنِي أَهْلِي
رَهِيئَةً قَعْرِ الْبَيْتِ كُلِّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوَلَدَانِ أَهْدَجَ كَالرَّأْلِ
أَقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدُورَ رِجَالِكُمْ فَكُلُّ مَنَايَا النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ الْهَزْلِ⁽⁴⁾

وبهذا نجد أن شعره يعدّ تعبيرا عن حقيقة الموقف الذي يجد الشاعر فيه نفسه ضائعا في عالم لا يعرف له بداية ولا نهاية، بالإضافة إلى جدله مع عالمه نجده أيضا ضالا في متاهات نفسه بعد أن حرمت من أية مرساة، ومن خلال تجاربه الشعرية يكشف لنا عن قلقه الدائم إزاء مشقة الحياة.

3-القلق الذاتي في شعر عروة بن الورد: نجد أنّ عروة لم يجد طيب العيش وسط أسرته التي حرمتها من الحنان العائلي، رغم أنّ أباه ذا شأن في القبيلة إلاّ أنّه حرم من تلك الثروة، فلازمه الفقر وذاق مرارة الجوع، واليأس، كما شرب من كأس الغربة تمثلت في اغترابه عن ذاته وعن مجتمعه الذي حرّمه من أدنى الحاجات. والأمر الذي شغل باله وأرق كيانه سعيه "للغنى" من أجل العيش الرغد والتساوي مع هؤلاء البخلاء في الحقوق، لكسب المقام الطيب، بالإضافة إلى ذلك وجد نفسه يصارع الحياة بكلّ ما فيها، فاضطرب من الدهر الذي كان بسلطته القاسية يمارس القهر بشتى أنواعه على نفسه.

أعروة والغنى: لقد سجلّ "عروة بن الورد" وجسّد المشكلة الاجتماعية الخطيرة على حياته وحياته الآخرين تمثلت في مشكلة الفقر والغنى، "وثار على الأغنياء من قبيلته فكانت ثورة عارمة، فجعل همّه في حياته أن يغير عليهم وينههم، يوفّر للفقراء والضعفاء من قبيلته بلعّ العيش التي يقيمون بها أرواقهم، فكانت

¹ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 51.

² - أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص 17.

³ - ينظر: عبد الحليم حنفي، شعر الضعاليك، منهجه وخصائصه، ص 285.

⁴ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 54.

ثورة مهدّبة، إذ أنه لم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد يروود مجاهل الصّحراء⁽¹⁾، وأدرك الفقر الذي ألمه في الصّميم فلجأ إلى مجاهل الأرض " مؤمن بأنّ الحقّ للقوّة، وأنّه لا سبيل إلى المحافظة على حياته وتحصيل قوته، وتحقيق وجوده إلّا بالغزو والإغارة للسلب والنهب ومن أجل ذلك يغير على المناطق الخصبة"⁽²⁾، وعلى هؤلاء المترفين. وهذا نجده يرفض أن يكون الثراء أساسا للسيادة والسلطة، وهذا ما أدى به إلى عدم التكيف مع منطق المجتمع الذي يعيش فيه، فنجده يقول:

ما بالثراء يشود كلُّ مُسودٍّ مثر، ولكنّ بالفعل يسودُّ
بل لا أكأثر صاحبي في يُسرّه، وأصُدُّ، إذ في عيشه تُضريدُّ
فإذا عَنَيْتُ، فإنَّ جاري ثِيْلُهُ من نائلي، وميسري ومعهود⁽³⁾

وقد "وجد عروة من الصّعب أن يغيّر من الواقع ومن نظرة المجتمع للغني والفقر فوجد لزاما عليه أن يطلب الغنى حتّى يصبح واحدا من السّادة الأشراف الحقيقيين في إطار الرؤية القبلية"⁽⁴⁾ لأنّه رأى في الغنى رفعة في المكانة، وسموا في المرتبة. فيردّد في قوله مخاطبا زوجته بأنّ تدعه يخاطر بنفسه وتتركه يسعى للغنى لأنّه ضاق بحياة الفقر والحرمان. في هذه الأبيات:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيْتُ النَّاسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهمُ وأهونهمُ عليهم وإنَّ أُمسى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ
ويقصيه النّدي، وتزدريه حليئته، ويهزّه الصّغيرُ
ويُلقي ذو الغنى وَلَهُ جلالٌ يَكَاذُ فَوَاذُ صاحبه يطيرُ⁽⁵⁾

كما نجد في حين آخر " يصرّح بأنّه لم يكفّ عن المغامرة في سبيل الغنى ومعه جماعة من الصعاليك الفرسان حتّى يحقق أهدافه"⁽⁶⁾ ويبلغ ما يريد الوصول إليه. وفي هذا نجده يقول:

فإني لمُسْتَأفِّ البلادِ بِسُرْبَةٍ فَمُبْلَغُ نَفْسِي عُذْرَهَا، أَوْ مُطَوِّف⁽¹⁾

¹ - المرجع نفسه، ص 96.

² - ينظر: حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، ط 2، مزيدة ومنقحة، أبريل 1981، ص 56.

³ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح البستاني، ص 27.

⁴ - حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا، فنون، نصوص، ص 175.

⁵ - ديوان عروة بن الورد و سموأل، شرح كرم البستاني، ص 45.

⁶ - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 2، ص 228.

من المؤكد أنّ بلوغ الغنى كان سببا في تمرد "عروة". إذ تركت هذه المشكلة أثرا كبيرا على حياته وكيانه، فتلك المخاطرة كان من ورائها تضحية بالنفس، لكن شاعرنا لم يبال بذلك، فهو مدرك أنّ الموت آت لا محالة، ولعلّ المشكلة الأكبر التي أزعجت كيانه وزعزعت فؤاده وأتعبت تفكيره هي مشكلة الوجود والبقاء، فهذا ما يحيلنا إلى أن قيامه بتلك النشاطات التمردية لم يكن من أجل بلوغ الغنى فقط. وإثبات الذات في الوجود الإنساني.

ب- عروة والوجود: أحاطت بالإنسان الجاهلي مشاكل كثيرة ظلت تؤرقه، وتقصّ مضاجعه وتشغل تفكيره منذ نشأته، ولعلّ أهمها مشكلة الحياة والموت تلك المشكلة الوجودية التي أثارت في أعماق كلّ نفس مضطربة تساؤلات عديدة عن جدلية الموت والحياة. ويبدو أنّ "الإنسان في مواجهة حوادث الدهر كالفريسة أو الصيد أو الذبيحة التي يبحث عنها بشوق ولهفة، وهي صورة تمثل بشاعة الوجود وتكشف عن إحساسه بالفجيعة التي تنتظر الإنسان"⁽²⁾ وذلك ما أحسّه شاعرنا "عروة بن الورد" وعرف قيمته، فكان على يقين أكبر بأن الموت منهل يردّه كلّ الناس، ولا يمكن لأي فرد أن ينجو من سهمه، أو يظهر بالخلود لمال أو جاه أو سلطان.

فإدراك "عروة" بأن الموت آت لا محالة جعله يقرّر "أن يواجه الموت، وأن يخدّ نفسه بما يقوم به من أعمال تجعله مدار الأحاديث بين الناس بعد موته، فأدرك بذلك حقيقة الوجود الإنساني المتناهي على هذه الأرض، وأنّ خلود الإنسان لا يكون بمواجهة الموت أو الاستعلاء عليه، بل يكون بالأعمال التي تخلّده"⁽³⁾ بعد فناءه، فشاعرنا كان يحرص أشدّ الحرص على شراء الحمد والثناء في حياته، لأنّ ذلك يحقق له منعة في الحياة، ويبقى أثره حيا بعد مماته، وهذا ما يظهر جليا في قوله:

دَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانٍ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَلَا أَمْلِكُ الْبَيْعَ مُشْتَرِي
أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صَيِّرٍ
مُجَاوِبُ أَحْجَارِ الْكِتَابِ، وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمُنْكَرٍ⁽⁴⁾

نلمح في شعره ذاتا ضائعة، دأبة البحث عن وجودها في المجتمع القاهر. "إذ كان يدرك أنّ سبيل الخلود هو سبيل العمل الإنساني وعليه أن يغتنم فرصة الحياة ليحقق صبوة روحه الجائعة إلى التمدد

¹ -ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 52.

² -حسني عبد الجليل يوسف، الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ص 59.

³ -وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص 290.

⁴ -ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 19.

والتفرد والخلود، فقد أعياه البحث عن حلمه الشاق، حلم الحضور الباهر المتألق الذي يستعصي- على الموت بعض الاستعصاء، فتبقى منه هذه الأحاديث التي لا تموت ولا تنسى⁽¹⁾ وهذا ما أدركه شاعرنا بأن لا حياة بعد الممات ولا يبقى بعد الإنسان الفاني سوى الفعل الحسن الذي يُخلد ذكره، فالواقع المر جعل "عروة" يفضل الموت على تلك الحياة المذلة والمهينة للإنسان من خلال قوله:

فإن نحن لم نملك دفاعاً مجادٍ ثم به الأيأم، فالموت أجمل⁽²⁾

في هذا الصدد يبين لنا عدم خوفه من الموت لكن نجده في موضع آخر يظهر لنا غير ذلك قوله:

دريني أطوف في البلاد لعلني أحليك أو أغنيك عن سوء مخضر
فإن فاز سهمهم للمنيّة لم أكن جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر⁽³⁾

يبدو أن "عروة" كان يخاطر بنفسه يغزو ويسلب وينهب، ويجوب الصحاري المخيفة ليلاً ولا يجعل للموت حساباً. لكن ما هو ظاهر ليس كالدّي في الأعماق، ولا ريب في أن: "عروة" يخشى- الموت وبها، والزّهية مغروسة في باطنه، ولعل كلمة "لم أكن جزوعاً" وراءها أسرار كثيرة ومكبوتات دفينة، فالخوف الذي كان يراود "عروة" لا يتمثل في "تلك الظاهرة التي تفاجئ الإنسان وتنتهي حياته، بل تتمثل في الظاهرة التي تمتته وهو حي، الموت الحقيقي له هو الفقر والاستكانة والعودة والدّل، إنه الموت الذي لا يتغلب على الإنسان بفعل الموت، بل يتغلب عليه بسحقه وإذلاله"⁽⁴⁾ وهذا ما خلق في نفسه شعوراً بالقلق اتجاه الوجود الذي جعله يتمرد على الواقع سعياً منه لإثبات وجوده الذي حرم من تحقيقه في ذلك المجتمع القاسي.

الهوامش :

- أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص43.

² - عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث "القاهرة، الكويت، الجزائر"،

2008م، ص23.

³ - سعد إسماعيل شلي، الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، دار غريب، القاهرة، ط2، ص16.

⁴ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرّد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1،

2003م، ص53.

¹ - المرجع السابق، ص257.

² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص62.

³ - المصدر نفسه، ص36.

⁴ - أدونيس، كلام البدايات، دار الأدب، ط1، 1989، ص109-110.

⁵ ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1978، ص211

- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص 162.
- * - عافي إنائي شركه: أي أنه يجعل إنائه شركة مع باقي الفقراء، بمعنى يشاركونهم ويقاسمهم إياه.
- ⁶ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 29.
- * - أقب: ضامر البطن، دقيق الخضر.
- ** - مخاص: الخميم، الجائع.
- *** - مرزأ: يجعل للتاس نصيب في ماله.
- ⁷ - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1996، ص 141.
- ⁸ - المصدر نفسه، ص 141.
- ⁹ - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، ص 46.
- * - مقتر: الفقير الذي لا مال له.
- ¹⁰ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 40.
- ¹¹ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 107.
- ¹² - عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص 185.
- ¹³ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 24.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص 44.
- * - غزال مقنع: يقصد بها المرأة الحسناء التي تغطي رأسها.
- ** - يهجع: يعني بها النوم.
- ¹⁵ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 49.
- ¹⁶ - ديوان عروة بن الورد، شرح سعدي ضناوي، ص 56.
- ¹⁷ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط 8، 1960، ص 57.
- ¹⁸ - سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، ص 319.
- ¹⁹ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 73.
- ²⁰ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 18.
- ²¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 383.
- ²² - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 26.
- ²³ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 40.
- * - تريعة: المرأة المسرعة إلى الشر. ويقصد بها الشرسة في معاملتها.
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص 50.
- ²⁵ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 74.
- ²⁶ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 383.
- ²⁷ - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 78.
- ²⁸ - المرجع السابق، ص 200.
- ²⁹ - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 44.
- ³⁰ - ينظر: أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص 265.

- 31 - عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 116.
- * - حيازم: مفردتها حيزوم بمعنى الصدر.
- ** - هجمة: القطيع من الإبل حيث تكون بنسبة أكثر وأكبر.
- 32 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 54.
- 33 - حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (قضايا، نصوص، فنون)، ص 178.
- 34 - المصدر السابق، ص 44.
- 35 - المرجع نفسه، ص 184.
- * - مبرج: الموت الشديد.
- 36 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 23.
- 37 - وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص 225.
- 38 - عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 284.
- 39 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 51.
- 40 - أحمد خليل، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، ص 17.
- 41 - ينظر: عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص 285.
- 42 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 54.
- 43 - المرجع نفسه، ص 96.
- 44 - ينظر: حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، ط 2، مزينة ومنقحة، أفريل 1981، ص 56.
- 45 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح البستاني، ص 27.
- 46 - حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، قضايا، فنون، نصوص، ص 175.
- 47 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 45.
- 48 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 2، ص 228.
- 49 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 52.
- 50 - حسني عبد الجليل يوسف، الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ص 59.
- 51 - وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص 290.
- 52 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 19.
- 53 - المرجع السابق، ص 257.
- 54 - ديوان عروة بن الورد والسموأل، شرح كرم البستاني، ص 62.
- 55 - المصدر نفسه، ص 36.
- 56 - أدونيس، كلام البدايات، دار الأدب، ط 1، 1989، ص 109-110.